قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى وه منارا، كمنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣٣—١٨ الاسد (ص٢) ١٢٩٣ه ش١٢ أغسطس ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان (*)

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنعم علينا بالاسلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي قام بتبليغ الدين خير قيام

أما بعد فان الصلاة والزكاة أهم أركان الدين، وأعظم الشعائر للمسلمين، بهما تزكية النفوس ، وصلاح حال الجمهور

جمع الله تعالى كل الخير فيهما ، لأن من اتصف بهما يتصف بكل فضيلة سواهما

فمن تركهما فلا حظ له في الإسلام ولا الايمان، فهلم اسمع في ذلك نصوص القرآن

*) المنار : قرأنا هذه الرسالة كلها ، وانتقدنا على كاتبها مسائل منها ، وبيناله رأينا في تصحيحها واصلاحها ، قولا وكتابة ، على أن يكون مستقلا في ذلك ، ياخذ ما ياخذ ويترك ما يترك عن بينة ، كما هو شأننا مع تلاميذنا ومريدينا ، لأجل هذا نشير في حواشي الرسالة الى المهم مما بقي من خطاء أو ضعف فيها

ولا تقدم لك تعريف الصلاة والزكاة ، ومقصود الشارع الحكيم منهما ، على طريق السؤال والجواب ، عسى أن تأنس به ، وترتاح نفسك الى تدبره ، فارعني سمعك ، واستعمل عقلك

س ما حقيقة الصلاة ؟

ج هي مناجاة الله تعالى وذكره ودعاؤه والخضوع له بالصفة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

س لم جُعلت الصلاة بالكيفية المخصوصة ، ولم تترك الى اختيار المؤمنين ؟

ج لئلا يتشعب الخلاف بين الناس فيها ، فيفوت غرض الدين من اتحادهم عليها ، المساعد لهم على الاتحاد في غيرها

فالناس كلما كثر ما يشتركون فيه كان اتحادهم عليه أقوى ، وانجذابهم بعضهم الى بعض أقرب وأمتن

س ما دليل وجوبها ، وحكمة مشروعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة العنكبوت (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

س كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟

ج أنظر الى نفسك حين تواجه القبلة وتتهيأ لإقامة الصلاة ، فتستفتحها بقولك : الله أكبر ، ألا تراك ملئت خشية لذكرك ربك وكبرياءه ، وغشيتك السكينة لوقوفك بين يدي سيدك ، مستصغرا كل شيء دونه ، وغاضا الطرف عما سواه

فاذا قرأت الفاتحة ذكرتك معانيها بالملك الذي خلقك بقدرته ، وربك الذي ربك على نعمه — ربك لا ليستبد بك ، ولا لينتفع منك ، بل

ليجعلك موضع رحمته ، ومحل فضله واحسانه، وهناك ترى سيداً عظيما ، ومالكا للجزاء وحيداً، جميع الكون في قبضة يده ، وكل العالم تحت تصرفه وقهره ، لا إرادة فوق ارادته ، ولا ينفع أحد أحدا عنده ، فبينما أنت ترجو رحمته، اذا بك تخاف عذابه ، قوته فوق الاسباب ، فلا تجد ملجأ الا اليه ، ولا تستعين الا به ، فهو الذي يهديك طريقه المستقيم ، ويأخذ بيدك فيه ، ما دمت فيه ، مرافقا لاهله الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بعيدا عن طرق المعاندين والحيرانين ، المغضوب عليهم والضالين ؛ أضف الى ذلك ما في ركوعك وسجودك ، وقيامك طوع أمره وقعودك ، كل هذا يا مقيم الصلاة يؤثر فيك تأثيرا، ويأخذ منك مأخذاً كبيرا ،فلا تلبث أن تتربى في نفسك ملكة المراقبة لله، تثبتك على صراطه ، وتقيك الوقوع في عصيانه ، فاذا مسّك طائف من الشيطان،أو دعاك داع من الشهوة الى العصيان، ناداك صوت من ضميرك: اذكر ربك واتقه، واحذر أن يراك، حيث نهاك ! فاذا انت من المبصرين

س يظهر من هذا أن المرء اذا حافظ على اقامة الصلاة تصفو نفسه ، وتحسن أخلاقه ؟

ج من غير شك ، وذلك هو مقصود الدين من تكرار الصلاة كل يوم خمس مرات ، وتدبر القرآن فيها

وقد علمت أن الله لم يسقطها عن المؤمنين وهم في مقاتلة أعدائهم ، ولا عن المرضى وهم في مرض موتهم ، وما ذلك الا لحاجتهم اليها، وعدم استغنائهم عنها، فانها تشجعهم ، وتجعلهم اكثر تحملا للمشاق ، واقوى صبرا على الشدائد ، واقرب الى الرجاء ، وأبعد عن اليأس

س صلينا كثيرا فلماذا لم تنهنا صلاتنا عما نحن فيه من المنكرات ؟

ج سبب ذلك أننا لم نلاحظ المقصود منها ، ففقلنا عن التدبر والخشوع فيها ، فما لنا من الصلاة الآن الا اسمها ، وليس في مساجدنا منها الا صورتها ورسمها

وان شئت فقل : انها أصبحت عندنا عادة من العادات ، التي يقلد فيها الولد اباه وغيره ممن ينشأ فيهم

وقد وصل الجهل بناس الى أن يتركوا الصلاة طول حياتهم، اعتمادا على أنه يمكن اسقاطها عنهم بعد مماتهم بالطريقة المشهورة باسقاط الصلاة عن الميت ، ذلك بأن يؤتى بمن يسمونهم فقهاء ، وهم قراء القبور ، الذين اتخذوا القراءة على القبور ، والصياح في الجنازات بنشيد البردة وغيرها صناعة فيحسبوا ما ترك الميت من الصلوات في سني عمره، ثم يطاف عليهم بصرة فيها عدد من النقود ، فيقبل كل منهم أن يتحمل عددا من تلك الصلوات عن الميت نظير مبلغ يأخذه مما في الصرة ، حتى اذا تحمل الجميع ما على الميت من الصلوات ، فرق عليهم عدد النقود ، وبهذا يزعمون أن الصلاة سقطت عن الميت ، وان الله عفا عمن تحملوها

وفي هذا من العجب ما ترى ، وقد ذكرته ليظهر لك كيف يؤدي الجهل بحكمة الله الى اضاعة شرعه والاستهزاء بدينه ، وكأن هؤلاء لم يعقلوا أن تارك الصلاة قد صدئت نفسه، وتلوثت روحه، فلم يعد يستحق مقام الكرامة، و (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان الا ما سعى) فهل للقبور بين عهد من الله أن يقبل منهم ما يقبلون، ويحط عنهم ما يتحملون؟ فرحماك اللهم! فان القوم لا يعلمون، وعسام عن ذلك يرجعون

س عرفنا الصلاة ! فما معنى الزكاة ؟

ج الزكاة جزء من مال الاغنياء ، يصرف في مصالح المسلمين ، كالفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل والغارمين ، وغير ذلك من مهمات الدين .

س ما دليل وجوبها ، وحكمة شرعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة براءة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)

س ما معنى التطهير والتزكية بها ؟

ج (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فكلما كثر جمعه للمال ، زاد حبه له ، وطمعه فيه ، حتى لا يؤثر شيئاً عليه ، ولا يكون له همّ في سواه ، فتنقطع العلائق بينه وبين الله ، فتخبث نفسه ، فيكسب المال من أي وجه حلالا كان أو حراما ، فاذا هو جعل نصيبا من ماله لله على حبه إياه ، استحى أن يكسبه من طريق يبغضه الله ، وكان حب الله في نفسه متغلبا على حب المال ، فهذا ينظف النفس من الأرجاس العالقة بها ، ويزكيها بإنماء الفضائل فيها

وهذه تزكية روحية ، وهناك تزكية أدبية اجتماعية — وهي أن الاغنياء الذين يقبضون أيديهم عن الفقراء يعرضون أموالهم للسلب ، وأعراضهم وأنفسهم للإهانة ، لأن الفقراء يبغضونهم ، ويكيدون لهم ، واذا اشتد الجوع بهم ولم يجدوا وسيلة لسد الرمق الا بالاعتداء على الاموال والأنفس اعتدوا ، ولا يخفى ما في ذلك من اختلال الأمن وتزعزع النظام ، فيمسي الاغنياء ويصبحون لا يهدأ لهم بال ، ولا يرتاح لهم ضمير ، فيموتون أو يموت الفقراء جوعا وذلا ، وكل ذلك — كما تعلم —

سبب في ضعف الامة وانقراضها، فاذا هم بذلوا وأنفقوا حفظوا حياتهم، وهدءوا روعهم، وجعلوا الفقراء إخوانهم، يهتمون لهم، ويتعاونون معهم، فيبسط أيديهم يتبدل ضعفهم قوة، وتنقلب قلتهم كثرة، أضف الى ذلك ما يتوفر للامة فيصرف في منافعها العامة، ومصالحها المدنية، وما يعود عليها من بسط الامن في ربوعها، وتوثيق عُرى المحبة بين أفرادها. وحسبك دليلا على ذلك أن المسلمين لما تهاونوا في إخراج الزكاة انحلت رابطتهم، وتأخرت مدنيتهم

س اذا كان في الزكاة ما ذكرت من رابطة الود بين الافراد، ومن مصالح جماعة الامة، وكانت بذلك من أعظم أركان العمران، فما بالنا نرى الافرنج وقد استبحر عمرانهم، وليس عندهم زكاة مثلنا؟

ج لعلك لم تنظر الى ما عندهم من الجمعيات الخيرية، والملاجئ والمستشفيات المجانية، وغير ذلك مما يقصد به تحسين حال الايتام والفقراء، وغير ذلك من المنافع والمصالح، وهل هذا الا بمعنى الزكاة عندنا؟ وهل تقوم لامة قائمة من غير أن يكون فيها هذا الركن الاقتصادي العمراني الجليل؟

ألا تعجب حينما ترى الافرنج يعرفون قيمة هذا الركن، وقومنا عنه غافلون؟ ألا يزيد عجبك عند ما تسمع مقلدة الفقهاء يعلمون الناس إسقاط فرضية الزكاة بما يوحي اليهم الشياطين من الحيل؟ ولعلك شاهدت كثيرا ممن تجب عليهم زكاة المال، يأتي قبيل الحول الذي تجب بحلوله الزكاة فيتنازل لامرأته عن ماله، ثم بعد أن يفوت الحول يستوهبها إياه، ويزعم أنه بذلك قد خرج عن دائرة المالكين فلم يكلف، وأن حيلته صحت عند الله

وأغرب من ذلك أن الرجل يضع زكاة ماله نقودا في داخل كمية من الحبوب ، ويأتي ببعض المستحقين فيعرض عليه تلك الكمية من الحبوب من غير أن يريه المال المدفون فيها ، فيقول له : هذه زكاة مالي فاقبلها. وبعد قبوله إياها يبتاعها منه بضعف ثمنها، فيفرح المسكين، ويرجع المكلف بدفع الزكاة زاعما انه قد تخلص منها، ولم يعد يسأل عنه

فياحسرة على هؤلاء الذين فضلا عن تضييعهم للشريعة ، وقضائهم على أحكامها ، قد هزئوا بربهم ، وسخروا بخالقهم ، فاكتسبوا جريمتين بعملهم هذا ، إحداهما تضييع دينه ، والاخرى الاحتيال عليه ، (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يوم يتقاضاهم الفقراء والمساكين ، ويحكم الله بينهم وبين المستحقين، يوم يحمى على أموالهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ،و يقال لهم : (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

حكم تارك الصلاة والزكاة

س حسبنا ما وقفنا عليه من معنى الصلاة والزكاة ، وما وراءهما من المنافع ،وما انطوتا عليه من الحكم. فما حكم تارك الصلاة ، أو مانع الزكاة؟

ج كلاهما معرض عن الاسلام ، هادم لأعظم أركانه ، وقد ذهب جماهير العلماء الى وجوب قتله ان لم يتب — قيل كفرا وقيل عقوبة ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعي الزكاة . والخلاف في كفر تارك الصلاة أقوى

س كيف يعد تارك عبادة من عبادات الاسلام مرتدا عن الدين ، تاركا له ؟

ج لأن الاسلام ليس له معنى الا الانقياد لله تعالى ، فيما يزكي النفوس ، ويصلح الاجتماع ، وذلك انما يتجلى في الصلاة والزكاة — كما علمت — وغيرهما تابع لهما ، بل من أقام الصلاة وحدها ، أقام كل أمر بعدها

س هذا صحيح وفهمناه مما سبق ، فاين الادلة ، على أن تارك الصلاة أو مانع الزكاة خارج عن الملة الاسلامية ؟

ج ذكر الله سبحانه الصلاة والزكاة في أكثر من خمسين موضعا من كتابه ، وكلها يدل على الاهتمام بهما ، وبناء الاسلام عليهما ، غير أننا نكتفي هنا بذكر الصريح من الآيات في موضوعنا فنقول :

ما جاء في الصلاة وحدها

من ذلك قوله تعالى في سورة الروم (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم) الآية ، وفي قراءة « من الذين فارقوا دينهم » فانظر كيف أراك عز شأنه أنه لا يعدل عن اقامة الصلاة الا المشركون[1] ولا يتصف بها الا المتقون ، من أقامها صاحب الدين ، ومن لم يقمها فارق الدين ، فهي الصفة المميزة ، والحد الفاصل بين المسلم والمشرك

(لها بقية)

(١) المنار : الآية لا تدل على هذا الحصر ، ولا هو صحيح في نفسه ، ولا تدل على الحصر الذي ذكر بعده وان كان معناه صحيحا